بسم الله الرحمن الرحيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)).

هذا الحديث القدسي هو أشرف حديثٍ في صفة الأولياء، فمن هم الأولياء؟ يُجيبنا ربنا عز وجل في كتابه عن هذا السؤال: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: 63]، فهم مَن تحقق بالإيمان ولازم التقوى، لذا قال أهل العلم: من كان لله تقيًا كان لله وليًا.

لا خوف عليهم فيما يَستقبلونه ويُقدِمون عليه، ولا يحزنون على ما مضى وفاتهم. أولياء الله ليسوا من جنس مخصوص، أو لون مخصوص، أولياء الله {الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [يونس: 63].

آمن بالله فرضي به ربا، وبالإسلام دينا، وبالقرآن إماما وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله.

وكان تقيا يقيم أوامر الله، ويحل الحلال، ويحرم الحرام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويخالق الناس بخلق حسن.

وإن مما يلفت النظر في الحديث: أن الله عز وجل ابتدأ بالدفاع عن وليه المؤمن ولم يبتدئ بثمرة الولاية الناتجة عن فعل الطاعات.

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ))، وكل معصية لله عز وجل ففيها حرب، وتتفاوت بتفاوت الذنوب والمعاصي، وليس المراد الخطأ العارض، فكلنا ذو خطأ فكل ابن آدم خطاء، إنما الكلام عن إصرارٍ على معصية الله عز وجل، مع علم العبد بأن هذه معصية، أي أنها تُغضب الله، أي أن الله يغار من عبده أن ينتهكها،((إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ)).

لكن كيف تُنال هذه الولاية؟ إن ولاية الله لا تُنال إلا بطاعته وترك معصيته، فاستمع إلى قول ربك عز وجل في هذا الحديث القدسي: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ)) فرائض الله من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها مما افترضه الشارع في كتابه او على لسان رسوله.

وأما السبب الآخر لنيل ولاية الله عز وجل: فهي فعل النوافل والتقرب بها إليه سبحانه: ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)) .

فتأمل في قوله: ((وَمَا يَزَالُ)) فليست صفة الأولياء أنهم يفعلون النافلة مرة ثم يتكاسلون عنها بل هم دائمون عليها مواظبون، فلما كانت الفرائض محدودة، ولا يمكن للعبد أن يزيد فيها؛ فلم يبق للعبد إلا أن يُكثر من نوافل الصلاة، فهي من أعظم النوافل التي يحبها الله، ومثلها قيام الليل ولو قليلًا من أعظم الفرص التي يتقرب بها العبد إلى الله، فقيام الليل ولو قلّ هو دأب الصالحين، وهو مِن أبعد الأعمال عن الرياء. وتصور معي أنك تناجي ربًا يقول لك ((مَنْ يَدْعُونِي؟ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيَهُ)).

وكثرة قراءة القرآن، قال خباب بن الأرتّ: ((تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَقْتَرِبَ إِلَى اللهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ)).

((حَتَّى أُحِبَّهُ)) الله أكبر ما أعظمها من ثمرة! ولله المثل الأعلى والمقام الأسمى والصفات العلا: لو أن وزيرًا أو أميرًا أو ملِكًا قال لمن حوله: من حافظ على الدوام في وقته، ومن أنجز هذا القدْر من العمل؛ فإن مكانته ستزيد عندي، ماذا سيصنع الموظفون عنده؟ إنهم سيتسابقون إلى رضا بشر مثلهم! وماذا سيعطيهم هذا البشر؟ غاية ما يملكه أن يمنحهم مالًا أو عقارًا أو وظيفةً! لكن القُرب من الله كل الخير فيه، أليس الله هو الذي بيده خزائن السموات والأرض؟!

((فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا))، والمعنى: أن الله تعالى يرزقه السداد والتوفيق؛ فيرى بنور الله، ولا يُبصر إلا إلى ما أباح الله أو شرع الله عز وجل، حتى إذا ما حانت منه التفاتةٌ إلى مُحرم أعانه الله على غض البصر، وعلى حفظِ السمع عما حرم الله، أو كتابة شيءٍ بيده -رسالة جوالٍ أو تغريدةٍ أو مقطعٍ أو غير ذلك- يعصمه الله ويُسدّده فلا يكتب إلا ما يرضي الله تعالى.

واجعل هذا ـ أيها المؤمن ـ مقياسًا لحياتك، فإذا رأيت بصرك مطلقًا في الحرام، أو أُذنك مطلقة في الحرام فهذا دليل بَيّنٌ على نقص ولايتك، فانظر مِن أين أُتيت؟ أمِن تقصيرك في الفرائض الواجبات؟ أم انتهاكك لمحرمات؟ والله تعالى لا يظلم أحداً.

أما الثمرة الثانية: ((وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ))، يقسم الله ولا يلزمه أحدٌ بالقسم سبحانه وتعالى ولكنه مقام الثناء، ومقام العطاء من الله لأوليائه المتقين.

((وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ))، وما ظنك بعطاء الرب الكريم؟! لا يمكن أن يصفه واصف.

والثمرة الثالثة: ((وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)) وكم هي الأشياء المحظورة التي تخافها وتستعيذ بالله منها؟

ولا تعجلن فتقول: دعوتُ دعوتُ فلم أر يستجاب لي!؟ فإن عليك الدعاء وعلى الله الإجابة، ولستَ أنت ولا أنا من يُحدد كيفيتها، فقد يؤتيك الله سؤلك مباشرة، وقد يدفع الله عنك شرًا لم تكن تعلمه، وقد يؤجل الله إجابتك إلى وقت أحوج ما تكون إليه، وقد ترى ثواب ذلك في صحيفة حسناتك إذا لقيتَ الله عز وجل.

ثم يُختم هذا الحديث القدسي العظيم بما يدل على مكانة هذا الولي عند الله عز وجل: ((وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))

الإنسان مسلمًا كان أم كافرًا يكره الموت، فالموت تكرهه النفوس، ولعِظم مكانة الولي فإن الله تبارك وتعالى يُخبر عن نفسه بأنه يتردد بقبض روح عبده المؤمن، ولكن لابد له من هذا الموت؛ فهي سُنة ماضية، وليس هذا التردد من أجل الشك في المصلحة، ولا من أجل الشك في القدرة على فعل الشيء، بل هو من أجل الرحمة بهذا العبد المؤمن

ولهذا قال في نفس الحديث: (يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَ مِنْهُ)، وهذا لا يعني أن الله عز وجل موصوف بالتردد في قدرته أو في علمه، بخلاف الآدمي فهو إذا أراد أن يفعل الشيء يتردد؛ إما لشكه في نتائجه ومصلحته، وإما لشكه في قدرته عليه؛ أي: هل يقدر أو لا يقدر، أما الرب عز وجل فلا

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولك